الأستاذة : بوكحيل حكيمة

مقياس العلاقات الدولية

السنة : الثالثة قانون عام

عنوان المحاضرة **: التطور التاريخي للعلاقات القنصلية و الدبلوماسية**

**تمهيد :** يتسم تاريخ العلاقات القنصلية بتنوع كبير وذلك بسبب إتصال جذوره بمنابع عدة " دبلوماسية , سياسية , تجارية , قضائية , و بحرية " وقد إختلف مفهوم العلاقات القنصلية طبعا باختلاف الزمان و المكان و الحضارة , فقد كان نطاقها يتسع باتساع نطاق التبادل التجاري بين الدول و مضمونها و حجمها يتطوران بتطور مضمون العلاقات الدولية .

- لذلك فقد اختلف مفهومها عند اليونان و الرومان عن مفهومها في العصور الوسطى و العصور الحديثة و لإلقاء نظرة عميقة على التطور التاريخي الذي مرت به العلاقات القنصلية منذ القدم فإننا سنعالج هذا الموضوع في النقاط التالية :

**- أولا : العلاقات القنصلية في العصور القديمة :**

تعود أصول العلاقات القنصلية إلى تلك الحقبة التاريخية التي انتشرت فيها التجارة الدولية في مراحلها الأولى , بعد انتقال المجتمعات البدائية من الحياة الزراعية إلى الحياة الصناعية " التصنيع و التسويق " بشكلهما البدائي مما دفع بالتجار إلى البحث عن أسواق لبيع منتجاتهم خارج نطاق قبائلهم و مجتمعاتهم " أي لدى مجتمعات أخرى تختلف من حيث المفاهيم الأخلاقية و الاجتماعية و السياسية عن مفاهيمهم " حيث كانت هذه المجتمعات الجديدة تنظر بعداء لكل أجنبي , و تبيح مصادرة أملاكه كما تبيح استعباده واسترقاقه , هنا بالذات برزت حاجة هؤلاء التجار إلى اختيار شخص من بين مواطني المدينة التي يتاجرون في أسواقها , أن يتولى حمايتهم و يقوم بدور الوسط في حل المشاكل التي تنشأ بينهم و بين السلطات العامة في تلك المدينة .

و قد بلغت العلاقات الدولية بين مصر القديمة و جيرانها الفينيقيين و البابليين و اليونان مرحلة متطورة نسبيا , إذ عقد ملوك الفراعنة مع ملوك هذه الدول العديد من الاتفاقيات التي نظمت مركز الأجانب من التجار من رعايا الدول المتعاقدة , و أتاحت لهم الإقامة في أحياء خاصة بهم و مباشرة أعمال التجارة فيها بالإضافة إلى عقد العديد من الاتفاقيات المتعلقة بتسليم المجرمين و الفارين .

إن الجذور التاريخية للعلاقات القنصلية تعود في الواقع إلى مؤسسات نشأت في العصر اليوناني و الروماني :

**أ- العصر اليوناني :** لقد مارست المدن اليونانية فيما بينها نظام البعثات الدبلوماسية غير المقيمة , كما تبادلت الرسل مع ملوك دول أخرى أمثال " داريوس ملك الفرس " و قد كان الرسل الدبلوماسيون يختارون من بين النبلاء و الشعراء و الخطباء , كما عرف اليونان إلى جانب هذا النوع من الدبلوماسية نظاما يعتبر الأساس التاريخي للعلاقات القنصلية هو نظام حماية الأجانب , وكان يقوم بهذه المهمة مواطنون يونانيون عرفوا بالحماة وهم نوعان :

**1- نظام حماة الأفراد و الأجانب :** لقد كان الغرباء المقيمين في اليونان لا يتمتعون بأية حقوق سياسية , فلا يحق لهم تملك العقارات كما كانوا عرضة للاستيلاء عليهم من قبل المواطنين و بيعهم كرقيق وهذا ما أدى إلى ظهور نظام اختيار هؤلاء الغرباء لمواطنين يونانيين يقومون بحمايتهم و يسهلون لهم ممارسة العمل التجاري و المهن الحرة و تجهيز السفن وبناءها , كما كانوا يقومون بدور الوسيط بينهم وبين السلطات اليونانية , و بدور القضاة في فض النزاعات حيث كانوا يطبقون عليهم قوانين دولهم .

**2- نظام حماية مصالح الدول الأجنبية :** هي مؤسسة تهتم بحماية مصالح الدول الأجنبية و رعاياها , فالقنصل اليوناني " بروكسيونس " الذي تتعاقد معه دولة أجنبية لرعاية مصالحها في أراضي دولته ليس له أي صفة رسمية مميزة في بلده ماعدا مركز الشرف الذي يحتله , كما قيل أنه لم يكن إلا مجرد و كيل تجاري فرضه نمو العلاقات التجارية , وما يثبت هذه الصفة التجارية الطريقة التي اعتمدتها المدن اليونانية في تعيينه و كانت تتم بمقش قرار التعيين على الرخام و إحاطته بيدين من البرونز رمزا للتعاون أو بنقش صور أسماك دلالة على روابط التجارة البحرية .

**ب- العصر الروماني :** لقد كانت للحضارة الرومانية القانونية أثرها في إرساء بعض القواعد الدولية في إطار قانون الشعوب , الذي كان ينظم العلاقات بين الرومان و الشعوب الأخرى و قد وضع الرومان نظاما خاصا نسبه إلى هيئة خاصة من الكهنة , كانت تتولى رعاية شؤون المبعوثين الأجانب و تشرف على مراسيم استقبالهم و ترعى امتيازاتهم و حصاناتهم , في إطار هيئة للشؤون الخارجية بحيث كانت هذه الهيئة تعاقب كل من يسيء إلى حصانة هؤلاء المبعوثين و كان العقاب يصل أحيانا إلى درجة الحكم بتجريد المعتدي من جنسيته أو الحكم عليه بالإعدام , و هذه الهيئة تتكون من الكهنة على اعتقاد الرومان أن حماية السفراء واجبا دينيا , كما كان مجلس الكهنة يقوم كل شهر فبراير باستقبال المبعوثين الأجانب وكذلك يقوم بإيفاد مبعوثين يختارهم من مجلس الكهنة " مجلس الشيوخ " و الفرسان إلى الخارج في مهمات معينة و يزودهم بوثائق تسمى " دبلوم", و مع الإمبراطورية الرومانية الرومانية نشأ قانون عرف بقانون الأجانب كان يطبق على مواطني الدول الخاضعة لروما ثم تطور هذا القانون و اتسعت قواعده و ترسخت مفاهيمه فسمي " بالقانون الطبيعي " .

**ثانيا : العلاقات القنصلية في العصور الوسطى :**

تميزت الوظيفة القنصلية خلال العصور الوسطى بتبلور وظيفة القاضي , إذ أن جماعات التجار استفادت من ظعف هيكلة الدولة القانونية و توزع السلطات فيها , فأخذت تنتخب من بين أعضائها أشخاصا يفصلون في كل خلاف ينشأ بين الجماعة و عملائها يطلق عليه اسم " القنصل " , و مع اتساع العلاقات التجارية هاجر هؤلاء التجار إلى البلاد الأجنبية بحثا عن أسواق جديدة و استقروا للعمل فيها , كما تميزت هذه العصور بوضع العديد من التقنيات البحرية التي نظمت أصول ممارسة الوظائف القنصلية .

يمكن تلخيص مهام القنصل في العصور الوسطى فيما يلي :

1- الفصل في النزاعات التي تنشأ بين أفراد الجماعة التي يمثلها و فقا لقوانينهم الخاصة , و فر ض عقوبات على المذنبين منهم .

2- رعاية مصالح الجماعة التي يمثلها , خاصة التجارية منها و مساعدة أفرادها و حمايتهم و القيام بدور الوسيط بينهم وبين السلطات المحلية .

3- حماية معتقداتهم الدينية و تسهيل ممارستهم لعاداتهم و تقاليدهم و الإشراف على شؤون التركة عند وفاة أحدهم دون وارث.

4- اتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية التجارة البحرية , و المتمثلة في الحفاظ على حقوق التجار و أصحاب السفن الذين يمثلهم عند حدوث صدام بحري أو أي حادث أخر .

5- الإشراف على الاتفاقيات التي يتم عقدها بين هذه الجماعة و السلطات المحلية .

من المهم الإشارة إلى أنه لم يكن للقنصل خلال هذه العصور الوسطى أية صفة رسمية أو تمثيلية لدولته بحيث كان يعتبر وكيلا للتجار الذين يختارونه و حاميا لمصالحهم فقط , إلا أن تطور التجارة الدولية و ازدهارها شعرت الدولة بأهمية العلاقات القنصلية فأخذت تتدخل لاختيار القناصلة في نهاية العصور الوسطى و أصبح القنصل ممثلا لدولته .

**- ثالثا : العلاقات القنصلية في العصور الحديثة :**

مع بداية عصر النهضة " أي أوائل القرن 15" تغير مفهوم الوظيفة القنصلية و اتخذ شكلا جديدا نتيجة التحولات الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية التي طرأت على النظام الإقطاعي , فانتقلت المؤسسة الفنصلية تدريجيا من مرحلة القنصل القاضي الممثل لجماعة التجار في بلد ما و المنتخب من قبلهم إلى مرحلة القنصل الممثل لدولته و المعين من قبلها .

وما إن طل القرن 16 حتى كان القنصل يقوم بالإضافة إلى وظائفه القنصلية لتقليدية بتمثيل دولته و ممارسة العديد من الوظائف الدبلوماسية مع ما يلازمها من حصانات و امتيازات , غير أن هذا الازدهار لم يلبث طويلا حتى ظهر القرن 17 و الذي تميز بتقلص في العلاقات القنصلية و انحسار لدورها وذلك بسبب انتشار البعثات الدبلوماسية الدائمة و بروز مبادئ السيادة الوطنية و الاستقلال مما أدى إلى الحد من صلاحيات القناصل و القضاء على دورهم السياسي و القضائي , و هكذا مرت المؤسسة القنصلية بمرحلة من الركود .

وفي مطلع القرن 19 مع قيام الثورة الصناعية و ما صاحبها من ازدهار التجارة الدولية والملاحة و وسائل المواصلات , انتعشت العلاقات القنصلية و استعادت أهميتها و تزايد انتشارها جنبا إلى جنب مع العلاقات الدبلوماسية عن طريق عقد العديد من الاتفاقيات الثنائية و قد أصبح القنصل مجرد وكيل تجاري لدولته فقط لا ممثل سياسي لها وانحصرت مهامه في رعاية مصالحها التجارية و مصالح ر عاياها المقيمين في الخارج دون قيامه بأي مهمة دبلوماسية .